ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة
المدى للإعلام والثقافة والفنون

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير
فخري كريم

"21عاماً من التعبير الحر والمسؤولية الوطنية"
العدد (5905) السنة الثانية والعشرون - الاثنين (12) أيار 2025
www.almadasupplements.com

ذاكرة عراقية

الناصرية

في سنوات تأسيسها الأولى

عندما فاز العراق ببطولة كأس العرب لكرة القدم عام 1966

مؤيد الزويني

في مطلع العام ١٩٦٦ زحفت الجماهير العاشقة لكرة القدم من مناطق العاصمة بغداد متجهة صوب ملعب الكشافة في منطقة الكسرة هذا الملعب العريق والعتيد الذي شهد على مر العقود الغابرة من القرن الماضي، وتحديداً منذ تأسيسه في العام ١٩٢٩ حتى عقد الستينات، مئات المباريات المحلية والعربية والدولية ولعب على ارضيته الخضراء الالاف من اللاعبين العراقيين والعرب والاجانب ومن مختلف ارجاء العالم.

وبعد افتتاح ملعب الشعب الدولي في منطقة زيونة في اواخر العام نفسه عام ١٩٦٦ من قبل الرئيس الراحل عبد الرحمن عارف، خف زخم اجراء مباريات على ارضيه ملعب الكشافة ثم ترك نهائياً فيما بعد ليدخل عالم النسيان والاهمال حتى يومنا هذا. وترجع عائدية (ملعب الكشافة) الى وزارة التربية بدلاً من عائديته الى وزارة الشباب والرياضة، وهي الجهة المشرفة عليه على مدى تلك العقود..

وما يهمنا هنا ان المشير الركن عبد السلام محمد عارف رئيس الجمهورية العراقية انذاك كان على رأس الحاضرين في المباريات النهائية التي جرت بين منتخب العراق الوطني والمنتخب السوري الشقيق في بطولة كاس العرب التي اقيمت ليلاً وتحت الانوار الكاشفة..

وبعد وصول الرئيس عارف الى الملعب عزف السلامان الجمهوريان العراقي والسوري ثم جلس في المقصورة بصحبة شقيقة الفريق عبد الرحمن محمد عارف رئيس اركان الجيش وقتذاك وبمعيته بعض الوزراء والمسؤولين في الحكومة العراقية بدأ الفريق الشقيق بالتسجيل وانتهى الشوط الاول من المباريات لصالحه بنتيجة (١-صفر).

وفي الشوط الثاني استطاع الفريق العراقي ان يحكم سيطرته التامة على الملعب ويتحكم بمجريات اللعب حتى استطاع اللاعب المبدع (كوركيس اسماعيل) ان يسجل هدفين متتاليين لتهتز مدرجات ملعب الكشافة ويعيد البسمة الى وجوه الحاضرين وتنتهي المباريات بفوز الفريق العراقي واحرازه بطولة كأس العرب عام ١٩٦٦ بعد تغلبه على الفريق الضيف بنتيجة هدفين لهدف.

وفي اليوم التالي اطلقت الصحافة الرياضية وكذلك الجمهور الرياضي على اللاعب كوركيس اسماعيل لقب (ابو الشداید) وقد اهدى له الرئيس عارف ساعة يدوية ثمينة مع بقية اللاعبين ثم وعدهم بتوزيع قطع اراض سكنية بينهم بعد عودته من جولة تفقدية لمدينة البصرة لكن الوعد الذي قطعه الرئيس عارف لم يتحقق وذلك لمقتله في حادث الطائرة الهليكوبتر المعروف بمنطقة النشوة ناحية الدير البصرة حيث احترقت الطائرة بعد ان ارتطمت اجنحتها بالارض نتيجة هبوب عواصف ترابية واحترق من في داخلها ويضمنهم رئيس الجمهورية..

وظلت الجماهير الرياضية في مناطق العراق كافة تتحدث عن المفارقة التي حصلت بفوز الفريق ومقتل الرئيس الذي تزامن بعد الحصول على البطولة بأيام.

ومن اللاعبين الذين مثلوا المنتخب الوطني في تلك المباريات:

حامد فوزي
جبار رشك
صاحب خزعل
حسن بلة
سلمان داود
شامل فليح
قيس حميد
كوركيس اسماعيل (ابو الشداید))
هشام عطا عجاج
قاسم زوية
نوري ذياب.. وغيرهم.

وقاد الفريق العراقي لهذا الانجاز الكبير المدرب القدير المرحوم العقيد عادل بشير وعلق على المباريات شيخ المعلقين الاستاذ مؤيد البدري.

لم يكن ١٠ تيسان ١٩٦٦ يوماً عادياً في التاريخ الرياضي للعراق وبخاصة بكرة القدم. ففي ذلك اليوم جرت المباراة النهائية لكأس العرب بورته الثالثة وفي الساعة السادسة مساءاً على ملعب الكشافة اذ التقى منتخبنا مع المنتخب السوري وقد وصل فريقنا للنهائي بعد طريق صعب حين تجاوز الكويت والأردن والبحرين ولبنان وليبيا. وزحفت نحو الملعب ومنذ وقت مبكر جموع غفيرة زاد عددها على الثلاثين الف متفرج وهذا رقم قياسي يسجله الحضور الجماهيري لمباريات الكرة في بلاد الرافدين آنذاك.

وكان الفريق السوري افضل منتخب في تاريخ سوريا الكروي اذ جمع من النجوم الذين لم تجد الملاعب السورية بمثلهم حتى الان امثال الحارس ○فارس السلطي□ والمدافع طارق علوش والكابتن اوديس في الوقت الذي غاب فيه عن فريقنا الاعبان من الوزن الكروي الثقيل هما حسين هاشم وقاسم زوية لاصابتهما.

وأظهر مهاجمنا هشام عطا عجاج من المهارات والفن الرفيع والأداء الرائع ما أبهر به بصيرة الناظر قبل بصرة وتألق الحارس الماهر فارس السلطجي في مرماه منقذا اياه من اهداف أكيدة وعديدة ثم استطاع امتصاص الزخم والضغط العراقي بتهدئة اللعب وحاولوا بمناولات طويلة ان يحدثوا ثغرات في خط دفاعنا الذي تألق بكامله في ذلك الدورة بالأخص صمام الأمان جبار رشك حال دون تحقيق مبتغاهم. ومن هجمة عراقية قادها صاحب خزعل من جهة اليسار فحول الكرة الى الوسط ليشتتها المدافع السوري طارق علوش حيث تجد أو اديس فيندفع بها من جهة يسارنا الخالية وقبل وصوله الى علم الزاوية يرفع كرة الى قرب نقطة الجزاء فيودعها نور الدين بقوة في مرمى حامد فوزي في الدقيقة ٢٧ من الشوط الاول ويجري اللعب سجالاً فيما تبقى من وقت الشوط لينتهي بتقدم سوريا بهدف واحد. وفي الاستراحة بدّل مدرب الفريق العراقي عادل بشير رحمه الله وطيب ثراه من تكتيك فريقة اذ طلب من هشام ان يكثر من الحركة بعرض الملعب وبين المدافعين كي يسحبهم لقربه وبالتالي يتخلخل الدفاع السوري فينفذ منه كوركيس اسماعيل او محمود سعد ○ الذي اشترك في الشوط الثاني□ او نوري ذياب. وأجاد هشام دوره وصال بعرض الملعب وطوله لوحده فتزاحم حوله السوريون وكانت الدقائق تجري بسرعة فائقة بالنسبة للاعبينا وفي منتصف الشوط يتصدى جبار رشك لكرة عالية فيهندس مسارها برأسه الى محمود اسد الذي يلعبها لهشام عطا فيندفع بها من جهة اليمين ويرفع كرة رائعة الى وسط منطقة الجزاء فيقفز○ ثعلب الكرة العراقية□ كوركيس اسماعيل ليلعبها برأسه وبقوة الى سقف المرمى وعند التقاء العمود بالعارضة فيصيح مؤيد البدري: "ممتازة أبو الثعالب.. گول.. گول" ويضاعف هدف كوركيس معنويات لاعبينا فيصعدون من ضغطهم ويلجأ السوريون لايقاف ذلك حتى ولو بالعنف وينهض على بشير من مكانه ويطلب من لاعبينا عدم المبالاة لذلك والاستمرار بالهجوم وأوعز لجبار رشك بعدم التقدم تحسبا وتجنبا لما لا يحمد عقباه ويمتثل جبار للتوجيه ويشد جمهورنا من أزر فريقه الذي راح يستعرض بكل خطوطه ميادين الفن الكروي وفي الدقيقة ٣٩ من هذا الشوط ومن كرة هيأها شامل فليح الى محمود أسد الذي يمررها خفيفة من بين المدافعين فيتابعها كوركيس اسماعيل ليودعها الشباك وليبادي كل الجمهور::

.. " ككي.. ككي.. ذبها بالكول.. يجمهور صفكوله .

وتنتهي المباراة ويعتلي الكابتن هشام عطا عجاج المنصة ليتسلم كأس البطولة و العراقيون يهتفون:

هذا الكاس يلمع.. وعينوهم تدمع
هذا الكأس يجي.. و السلطجي يجي
هذا الكاس ما ننطيه.. حسن بله تعب بيه

ومن الطرائف التي خلدت حول تلك المباراة ان الذي كان يرعى تلك المباراة هو عبد السلام عارف الذي كان رئيسا للجمهورية انذاك...

فحين سجل كوركيس الهدف القاتل ليسجل انتصار العراق نهض عبد السلام من مكانه مصفقا ومنفعلا والتفت الى فهد الميرة/ رئيس اتحاد الكرة العراقي انذاك وساله:

متكلي هذا منو اللي سوه الكولين؟

أجاب الميرة:

سيدي هذا كوركيس اسماعيل

فأجاب عبد السلام عارف متجهما:

خوش لاعوب..

وهكذا انتهت المباراة بفوز رائع لمنتخب العراق على المنتخب السوري وخرجت الجماهير الى شوارع بغداد حتى الصباح تهتف وتردد هذا الكأس يلمع وعينوهم تدمع... هذا الكأس يجي والسلطجي يبجي حقا انها ذكريات رائعة لمنتخبنا العراقي الرائع..

جمعية سياسية سرية مجهولة في بغداد 1912 ـ 1917

د. عماد عبد السلام رؤوف

وقَفْنا عند بحثنا في وثائق العهد العثماني في سنواته الاخيرة على وثيقتين فريدتين، باسم جمعية سرية عرفت بـ: (جمعية الدفاع المقدس) يبدو أنها كانت تعمل في بغداد منذ أواخر العهد العثماني، واستمرَّت في عملها حتى بداية عهد الاحتلال.

كانت هاتان الوثيقتان من مقتنيات خزانة الأب أنستاس ماري الكرملي (توفي ١٩٤٧)، في دير الآباء الكرمايين ببغداد، وقد وهبها إلى الأستاذ ميخائيل عواد (المتوفى سنة ١٩٩٥) على ما أخبرني الأخيرُ في مكتبة المجمع العلمي العراقي سنة ١٩٧٤، فلبثت في خزانته أمدًا من الدهر، حتى آلت ضمن مجموعته من المخطوطات والوثائق إلى مكتبة الدراسات العليا بكلية الآداب – جامعة بغداد، (تلك مخطوطات هذه المكتبة إلى مكتبة المتحف العراقي، قسم المخطوطات، وهي اليوم المركز الوطني للمخطوطات)، وفي أعلى الوثيقة الأولى تعليقة بخط الأب الكرملي تفيد بأن هذا النص هو بعينه الذي علق على الحائط"، وفي آخرها تعليقة له أيضًا نصها: "علق في ٢٩ آذار ١٩١٧"، والوثيقة مكسرة الأطراف، وبخاصة من طرَفها الأعلى الأيمن، من أثر انتزاعها – فيما يبدو – من الحائط الذي أُلصقت عليه، أما الوثيقة الثانية فهي منقولة "من الأصل الذي عُلِّق على الحائط"، على ما جاء في تعليقة للكرملي أيضا في أعلاها، ومن الملاحظ أن كلاً من الوثيقتين خال من البسملة التقليدية.

والوثيقة الأولى عبارة عن مُلصَق جداري، مكتوب بخط اليد بعناية فائقة، وتاريخه هو ٢٩ آذار سنة ١٩١٧؛ أي بعد ١٨ يومًا فقط من احتلال البريطانيين بغداد، الذين دخلوها في ١١ آذار سنة ١٩١٧، أما الوثيقة الثانية فهي نسخةٌ بخط اليد أيضا، منقولة عن ملصق جداري آخر، وتاريخه اليوم السادس من حزيران سنة ١٩١٧، وبهذا تكونُ هذه الجمعية هي أول جمعية سرية لها نشاط في العراق بعد الحرب العالمية الأولى، واحتلال بغداد مباشرة.

ويُفْهَم من الوثيقة المذكورة – في أسطرها الأولى – أنه قد مضت على تأسيس الجمعية آنذاك خمس سنين، فيكون تاريخ إنشائها إذًا هو سنة ١٩١٢؛ أي في مدة حُكم والي بغداد جمال بك (٢٦ آب ١٩١١ – ١٧ آب ١٩١٢م)، أو خلفه محمد زكي باشا (١٣ تشرين الثاني ١٩١٢ – ٢٢ أيار ١٩١٣م)، وكان هدفها آنذاك –على حد تعبيرها– هو "تقليص ظل الحكومة التركية عدوة التمدُّن والإخاء من هذه الأصقاع العربية، والاستعاضة عنها بحكومة راقية تخلُص البلاد من ذلك الاستبداد الأسود".

وتشير الجمعية إلى أنها مارست العمل المسلح في العهد العثماني؛ حيث كان لديها مخزن عامر بالقنابل، وتنسُب إلى نفسها مسؤولية إحراق مخزن الذخيرة (الجبَه خانه) في تلك الأيام، وكان هذا المخزن يقع في قلعة بغداد، وإذ لم نعثُر على ما يفيد حدوثَ مثل ذلك الإحراق في السنين المذكورة، فليس من سبيل للتأكد من صحة هذا الادعاء، وإن كنا قد عثَرْنا على ما يدل على حدوث عدة حرائق خطيرة ببغداد سنة ١٩١٢، أحدها في معمل عسكري، فإن هذه الحرائق لم يكن أيٌّ منها في القلعة، وليست لها صلة ما بمخزون الذخيرة فيها، وأهم تلك الأحداث هو الحريق الهائل الذي نشب في خان النفط الواقع في محلة العُوينة، ودام أسبوعًا كاملا.

وفي الوقت الذي تسكُتُ فيه المصادر عن بيان سبب هذه الحرائق المتلاحقة، فإننا نلاحظ بأنها حدثَت كلها في وقت واحد، وهو التاريخ الذي زعمت الوثيقتان بأنه تاريخُ تأسيس الجمعية المذكورة، وأن الحرائقَ أضرت بموادَّ ذات صفة عسكرية مهمة.

وعلى الرَغم من أن هذه المطالبَ وطنيَّة المظهر، فإن في الوثيقتين جملة أمور، من شأنها إثارة الريب حول نشأة الجمعية وأهدافها؛ فالجمعية لا تُخفي في أول بيان لها رأيَها بأن "حكومة بريطانيا هي البديل المرغوب لحكومة الترك الدابرة"، وأن أعضاءها كانوا ينشرون الأفكار المؤيِّدة لبريطانيا حتى قبل الاحتلال، وجميع مطالبِ الجمعية لا يصل إلى طلب استقلال البلاد، وإنما هي تقوم على اعتبار الاحتلال أمرًا واقعًا لا مناص منه؛ ولهذا فهي تدعو إلى أمور من قبيل "معاملة الأهلين بالحسنى"، و"إعطاء بعض الحرية للمطبوعات"، و"حفظ الأمن العام"، و"ملاحظة الأسعار الغذائية"، ومشاركة بعض الأهالي في شؤون الحكومة.

وتطالب الجمعية في بيانها الأول بعد الاحتلال بإعفاء الجنود العرب الذين انسحبوا مع القوات العثمانية الأخرى من وسط العراق، من حصر أسمائهم في سجلات السلطة المحتلة "لما فيه من الخطر في المستقبل إذا عُدُّوا كأسرى حرب"، وقد نص بيان مارشال على تحقيق ذلك حين "سمح لأسرى الحرب المعتقلين في الهند بالرجوع إلى أوطانهم، ما عدا الذين من الجيش التركي (أي العرب فقط)، أما المطالبة "بملاحظة الأسعار الغذائية الموقف عليها حالة الفقير والضعيف"، فهي ما أشار إليه بيان مارشال المذكور أيضا بقوله: "يوزع طعام وألبسة على فقراء بغداد والمدن الأخرى، وتخفف القوانين الحالية بعض التخفيف"، ولو وازنَّا بين كل الفقرات الواردة في بيان الجمعية الأول، وبين بيانات الاحتلال الصادرة قبله وبعده، لوجدنا أنهما كتبا برُوح واحدة تقريبًا، هذا رغم زعم الجمعية بأنها سيتلجأ إلى العنف "إذا لم يلتفت إلى مطالبها الإصلاحية".

ويؤكد بيان الجمعية الثاني (٦ حزيران ١٩١٧) على أن الجمعية لا تحمل عداءً لبريطانيا، وأنها "أول صديقة صادقة لدولة بريطانيا، بشرط ألا يكون لها غير النوايا الحسنة نحو العراقيين"، وأنها تؤيد السياسة البريطانية طالما وافقت هذه السياسة حقوق الشعب الأساسية، دون أن تبين ما تعنيه بهذه الحقوق، وعلى الرغم من تصريح الجمعية مجددًا بأن لجوءها إلى سبيل العنف غير بعيد، وأن أعضاءها مستعدون للتضحية بأنفسهم في سبيل "تأييد حقوق الأمة وواجباتها" – فإن البيان الثاني يسكت هو أيضا عن أي تلميح إلى الاستقلال، هذا مع أن بيانات الاحتلال نفسها لم تر حرجًا من التلويح به في بعض الأحيان.

ويهتم البيان المذكور اهتمامًا خاصًا بمسألة مشاركة بعض الشخصيات الكبيرة من أهل البلاد في "تمشية أمور الحكومة المحلية بصورة موافقة للعدل والاستقامة"، وهو يرشح عشرة من تلك الشخصيات بأسمائها، مؤكدًا على عدم وجود أدنى صلة للجمعية بهم، سوى ما تعرفه عن كفاحهم ضد السُلطة العثمانية .

والناظر إلى الأسماء المرشحة يلاحظ أنها تضم خليطًا عجيبًا من شخصيات، بعضها معروف تمامًا وله تراثه الوطني والثقافي الكبير، والبعض الآخر مغمور ليس له ماضٍ يعرف به أصلاً، ولا يجمع بينهم سوى أن أكثرهم كانت له مواقف مناوئة للسلطة العثمانية في أواخر عهدها في العراق، وأن بعضهم لقي عنتًا شديدًا من تلك السلطة، بلغ حد أمرها بنفيه وإبعاده.

وإذا تتبعنا تراجم المرشحين نجد أن بعضًا منهم عُرضت عليه مناصب مهمة فعلاً في السلطة المحلية التي أقامتها قوات الاحتلال وقبلها، والبعض الآخر أبى المشاركة فيما دُعي إليه بأية صورة من الصور، مما يؤكد عدم وجود صلة ما بينه وبين ترشيح الجمعية له في بيانها المذكور، وواضح أن أولئك المرشَّحين كانوا ينتمون إلى الديانات الثلاث جميعًا: الإسلامية، والنصرانية، واليهودية، هم:

١. محمود شكري
٢. عبدالمجيد بك الشاوي
٣. عبدالرحمن أفندي بن مصطفى
٤. السيد موسى الكيلاني
٥. حمدي أفندي الباجه
٦. عبداللطيف ثنيان

(نصارى، وأولهم مطران الطائفة السريانية، ولم يسمِّه، ولم يعين ما إذا كان مطران السريان الكاثوليك أم السريان الأرثوذوكس، والراجح أنه قصد الأول منهما، وثانيهم تاجر أرمني عُرف بنشاطه المناوئ للعثمانيين. يهود، هم حاخام الطائفة اليهودية في بغداد، ومناحيم دانيال (تاجر معروف).

يمكننا القول إذًا – بناءً على ما تقدم – بأن الجمعيةَ كانت:

١. لا تميل إلى أيِّ استقلال سريع عن بريطانيا.
٢. تريد تشكيل حكومة محلية من الأهالي – أو يشارك فيها الأهالي – تتولى تنفيذ الإصلاحات التي تراها ضرورية، وربما كان ذلك تحت إشراف بريطانيا نفسها.

وإذا طرحنا جانبًا أن تكون الوثيقتان من إصدار سلطة الاحتلال، أرادت بهما إظهار سياستها وكأنها استجابة لمطالب شعبية عامة، وافترضنا وجود الجمعية على ما أعلنت هي عنه، وأنها المسؤولة فعلاً عن إحداث الحرائق في المنشآت الحيوية ببغداد بإبَّان العهد العثماني: فإن الجمعية – كما نستنتج من كل ما عرضناه – كانت تضم بعض الفئات التي شعرت بأن مصالحها مرتبطة – بعد انقضاء الحكم العثماني في الأفق – باستمرار وجود نوع من الإشراف البريطاني على الحكم في العراق، ولو إلى حين، ومن ناحية أخرى فإن اسم الجمعية نفسه لا يقع في ضمن سياق أسماء الجمعيات الوطنية التي أسسها العرب المسلمون عهد ذاك، لا سيما بإضافة صفة (المقدس) بعد اسمها الأول (الدفاع)، ولعل الأيام تكشف لنا عن حقيقة هذه الجمعية، مما يُلقي ضوءًا جديدًا على تاريخ الجمعيات السرية في العراق.

مجلة (آفاق عربية) لسنة ١٩٧٩

في الحرب العالمية الثانية

لجوء رشيد عالي الكيلاني لألمانيا وهربه

رفعة عبد الرزاق محمد

تعد حركة مايس ١٩٤١ في العراق التي اقترن اسمها بالمرحوم رشيد عالي الكيلاني من اخطر الحوادث السياسية التي مربها العراق الحديث فقد جرى في هذه الحركة الكثير من الحوادث المثيرة التي لم تنته بانتهائها في نهاية مايس ١٩٤١ بل لحقته من الذيول ما يستحق التذكير والبحث، كان احتجتن سيرة زعيم هذه الحركة رشيد عالي بعد انتهائها الى وفاته سنة ١٩٦٥ العديد من المواقف (الدرامية) والمثيرة التي تؤشر حب الكيلاني للمغامرات السياسية التي كادت تودي بحياته في اوقات متفرقة.

ويتعرض هذا المقال الى لمحات من حياة الكيلاني في منفاه واقصد هنا حياته في الاقطار الشرقية والغربية التي جال فيها بعد تركه ايران وعبوره الى الاراضي التركية مع جماعة من انصاره في ١٢ تموز ١٩٤١ على اثر التطورات الدولية والحربية التي ادت الى اعتقال الكثير من اقطاب حركة مايس وتسفيرهم الى العراق ليلقوا ما لقوه..

والحقيقة ان حياة العراقيين في الاراضي الايرانية على قصرها باتت معروفة لمتتبعي تاريخ العراق السياسي الحديث، بعد ظهوره كتب المذكرات السياسية لصلاح الدين الصباغ وعلي محمود الشيخ علي وعثمان كمال حداد والدكتور محمد حسن سلمان، والاهم من هذا كله مذكرات الكيلاني التي نشرها بلندن في مجلة (اخر ساعة) القاهرية وهي ليست كاملة كما اعلن اكثر من قريب للكيلاني نفسه!اما ان استقر الكيلاني في اسطنبول حتى التف حوله العرب المقيمون في تركيا الذين يجمعهم العداء لبريطانيا ورجالها في الشرق فعقدوا معه لقاءات عديدة لبحث الموقف العربي واعلنوا انه يجب الوقوف علنا ضد بريطانيا وحلفائها وعقد معاهدة صداقة وتحالف مع دول المحور، وعلى ذلك فقد خوله اعضاء حكومته السابقون الذين التجؤوا الى تركيا مع انصار حركته، حق التفاوض مع الحكومة الالمانية، وحرروا وثيقة بذلك ويذكر الكيلاني في مذكراته انه حمل هذه الوثيقة معه الى برلين مع وثيقة اخرى من حكومته تخوله التفاوض باسم الحكومة العراقية باعتبار حكومته هي الحكومة الشرعية للعراق، وفحوى الوثيقتين تتعلق بحمل المانيا على الاعتراف رسميا بالكيلاني كرئيس وزارة للعراق لتكون المحادثات رسمية وان يعمل الكيلاني للحصول على تصريح رسمي من حكومتي المانيا وايطاليا باحترام استقلال البلاد العربية المستقلة والاعتراف ببطلان وعد بلفور المتضمن اقامة وطن لليهود في فلسطين.

لقد وجد رشيد عالي ان وجوده في تركيا يشكل خطرا على حياته وليس هناك مايبرر هذا الوجود فقرر ترك تركيا والرحيل الى برلين بعد ان تفاقمت الدعاية البريطانية في تركيا فاتصل بالسفير الالماني الفون بابن. يقول لوكازهير في كتابه (المانيا الهتلرية والمشرق العربي) اعتمادا على الوثائق الالمانية التي سمح بنشرها ان رشيد عالي غادر تركيا بصفته عضوا في بعثة صحفية المانية قدمت الى اسطنبول بناء على دعوة من تركيا، وقد ابلغ المسؤولون الالمان الحكومة التركية بأن البعثة ستضم ثمانية اشخاص ولكن لم يصل منهم سوى سبعة وحين رحلت البعثة ضمت معها رجلا مغطى بالضمادات وقطع الشاش هو الرجل الثامن الذي منعه المرض من الاشتراك في الاستقبالات والرحلات وحين وصلت هذه البعثة الى برلين تبين ان الرجل الثامن لم يكن سوى رشيد عالي الكيلاني!!وقد سبق هذه المحاولة الناجحة من محاولات عدة قام بها الكيلاني للهرب من تركيا غير ان السلطة التركية كانت تعلم بنيته من خلال مراقبتهم لمرافقه (نجدة الشواف) الذي قام بشراء عدد من الحقائب الجديدة. ولحق بالمرحوم رشيد عالي والمفتي الحسيني الى برلين، عدد من انصارهما امثال ناجي شوكت وكامل الكيلاني والدكتور محمد حسن سلمان ونجدة الشواف وجابر العمر وعلي الصافي وعبدالحميد الهلالي وفوزي القاوقجي وصبحي ابي غنيمة وغيرهم وعين الدكتور غروبا الدبلوماسي الالماني الشهير ضابط اتصال بين العرب وبين الحكومة الالمانية.

ويجدر القول ان مفتي فلسطين الحسيني كان قد التجأ الى المفوضية الالمانية في طهران بعد تركه العراق ثم هرب متنكرا بملابس خادم السفير الايطالي في طهران، ومن تركيا سافر الى ايطاليا فاستقبله موسليني، غير انه ترك روما وقصد برلين. وفي برلين بدأ رشيد عالي نشاطا واسعا مع القادة الالمان، غير ان الخلاف الشديد الذي نشب بينه وبين مفتي فلسطين الحسيني بعثر جهوده وجعلها تنصب على التنافس مع المفتي، ومع هذا فقد تمكن من الحصول على خطاب رسمي من الحكومة الالمانية (حكومة الرايخ) مرحبا به كرئيس وزراء العراق الشرعي وفي تموز ١٩٤٢ التقى الكيلاني الزعيم الالماني هتلر باحدى المقاطعات الروسية، وامتدح الفوهرر ثورة الشعب العراقي ضد الوجود البريطاني واعلن ان المانيا ليست لها مطامع في الوطن العربي كما التقى الكيلاني بالزعيم الايطالي موسوليني وقدم له مطالبه وهي عقد اتفاقية تعاون بين العراق ودول المحور واصدار بيان يتضمن الاعتراف باستقلال الاقطار العربية، بما فيها فلسطين كما تبادل الكيلاني مع وزيري خارجية ايطاليا والمانيا على الرسائل مطاليبه القومية الوطنية.ان وجود الكيلاني في برلين ونشاطه السياسي فيها وقصة خلافه مع المفتي الحسيني فيها وقصة خلافه مع المفتي الحسيني فيها، يستاهل دراسة مستقلة لبيان حقيقة الموقف العربي من دول المحور حتى انتهاء الحرب العالمية الثانية. وعندما بدأت جيوش الحلفاء بالاقتراب من برلين هرب رشيد عالي الى سويسرا وباءت محاولته للاستقرار فيها بالفشل. في اول مايس ١٩٤٥ عندما كان يدرس في جامعة براغ ضيف في داره رشيد عالي الكيلاني بعد ان فشل في دخول سويسرا وكان الكيلاني قد جاء تشيكوسلوفاكيا مع مرافق سوري وسائق الماني كان الوطن الكيلاني الاخير قد وضعته في خدمة الكيلاني.. وقد ترك بعض مرافقيه قبل هذا وهم السادة حكمت سامي سليمان ومحمد سلمان شقيق العقيد محمود سلمان وفرج الله و(بريدي) المترجم في المكتب العربي ببرلين الذي كان بزعامة الكيلاني، ومن الطريف أن سيارة الكيلاني المهداة من حكومة المانيا قد اختفت بعد ان حرص الحلفاء على جمع كل سيارة يجدونها في الشارع لنقلها الى بلادهم كغنيمة حرب.

الناصرية في سنوات تأسيسها الأولى

حسن علي خلف

ليس من باب المصادفة ان تبتنى حاضرة على انقاض امارة المنتفق، أو نتيجة لتجمع سكاني أخذ بالزيادة والتطور والتوسع، أو ما تتجه إليه الدولة وأجهزتها من وضع خطط عمرانية لتخطيط المدينة وتطورها ، بل كانت هنالك أسباب ودوافع ومقدمات وظروف لها جذورها التأريخية التي ساهمت في بناء مدينة الناصرية. فموقع وموضع مدينة الناصرية شهد ظهور أقدم الحضارات البشرية ممثلة بالحضارة السومرية (مدينة أور) التي تقع على بعد (١١) كم غرب المدينة، ومـدينة أريدو على بعد (٤٠) كم غرباً . وهذا دليل على إن المنطقة لـم تكن خالية من الحواضر يـوم إستيلاء شيـوخ (المنتفق) عليها، و مـن تلك الحـواضر (العرجاء) في موقعها المعروف في الجهه الغربية من المدينة (صوب الشامية) وإن التوارث المدني الذي ورثته مدينة الناصرية من الحواضر السابقة لها، ونشأتها على مواضعها يمكن تسميته بتوارث المواضع) . فمدينة الناصرية توارثت مكان تلك المستوطنات على الرغم من وجود بعضها إلى وقتنا الحاضر.

نشأت مدينة الناصرية على يد الـوالي العثمإني مدحت باشا عـام (١٨٦٩)لأجـل إتخاذهـا مركزاً لـردع حركات التمرد للعشائر القاطنة آنذاك وقمعها، وسهولة جباية الضرائب بعيداً عن إستخدام القوة العسكرية التي كانت تستخدم بـين الحين و الآخـر كما سنبين ذلـك، وإيجاد نوع من التجارة بين بغداد و البصرة، فضلاًعن العامل الإجتماعي، ألا وهو إستقرار الخارطة القبلية و الحد من هجرتها وحراكها المستمرلغرض الإستفادة من المطرفي فصل الشتاء حيث كانت العائلة تنقسم إلى جزئين، جزء يستقر بمنطقته الجديـدة (المجتمع النهري) وقسم يرتحـل بالأغنـام و الجمال مستفيداً من أعشـاب البادية ليعود في بداية الصيف، وتبعاً لذلك تحولت أغلب طبيعة البدو إلى طبيعة (شأوية).

إن منطقة ذي قار بشكل عام والناصرية بشكل خاص تقع التابعة لقضاء سوق الشيوخ. وهكذا كان لكل واحد من الذين أختاروا أسبابه ومبرراته ودوافعة. ولكن ناصر باشا غلّب الجانب السياسي، وكما أتفق مع أخيه منصور في بغـداد بأن أختـار أرض منخفضة الى جانب بحيرة أبي جداحة، تلـك البحيرة التـي فيهـا مواد فسفورية تنعكس عليها الأضواء في الليل لذلك سميت أبو جداحة. وكانت تلك القطعة المختارة لإنشاء الناصرية هي أوطأ من منسوب المياه فأذا ساءت علاقة آل سعدون مع والي بغداد أو متسلم البصرة فيصبح من السهولة أغراقها بالماء؛ سواء من البحيرة المجاورة أو من الفرات، التي هـي على الجانب الأيسر، ولكن مدحت باشا بذكائه المعروف وعيونه في دير المنتفق أمر بتقوية السداد من الجانبين أبو جداحة والنهر، وفعلا تم تقوية السداد وفوت الفرصة على نظرية المؤامرة، والتي أدركها ناصر باشا وصرف النظر عنها.

البدء بالتنفيذ:

لقد أرسل مدحت باشا مع الصناع والمهندسين والمحاسبين مهندسا بلجيكيا أسمه جولس تلي، الذي وضع خرائط للمدينة وأطلع عليها مدحت باشا ونالت رضاه، وأرسله لينفذها في دير المنتفق. وبعد أختيار الموقع الذي يبعد عن بغداد جنوبا ٣٨٧كم، ومن البصرة شمالا ٢١٤كم، وبموقع يتوسط أرض الريف والبطائح وعلى أطرافه الغربية بادية الجزيرة العربية أو امتداداتها رغم أختيار الموقع كمنخفض للأسباب التي ذكرناها؛ إلا أنه يتميز بأهميته العسكرية لصد الهجمات الوهابية والتصدي للأطماع الفارسية؛ وكبح جماح النفوذ البريطاني المتزايد في الخليج ونهر الفرات؛ ومن ثم السيطرة على أمارة آل سعدون ذات التقاطعات الكثيرة مع الدولة العثمانية. ويتميز كذلك بأهمية أقتصادية؛ وخاصة في الجانب المتعلق بتوطين البدو وقيامهم بالزراعة؛ والأختلاط مع المجتمع النهري وحدوث عملية الأستقرار الى جانب سهولة جباية الضرائب للدولة من الشخص المستقر؛ حيث تلاقى الدولة صعوبة من أستحصالها من البدوي. وكذلك للحاضرة وموقعها ميزة أجتماعية مما يولده مجتمع الحضر من وعي وثقافة في شؤون الحياة، وقيام صناعة وتجارة وتطوير الزراعة وأنتشار التعليم والأرتفاع بالمستوى الصحي وغيره، أضافة الى الموقع المميز بالنسبة الى مدن العراق الأخرى. وأن الخرائط التي وضعها المهندس المذكور فيها من الذوق والجمال والهندسة البارعة والحداثة مما جعل مدينة الناصرية لاحقا من أجمل مدن العراق. فجاءت الشوارع مستقيمة هي عبارة عن سبع شوارع متعامدة مع بعضها وبأستقامة رائعة.

وقد أخذ المهندس جولس تلي الساحات والجزرات الوسطية بعين الأهمية؛ وكذلك الحدائق كمتنفسات للسكان والتي سرعان ماتحولت الى مروج خضراء غاية في الجمال، وعندما أرتفعت الأبنية على الشوارع كانت من الدقة بمكان بحيث تسر الناظرين، ويمكن القول أن مدينة الناصرية أول مدينة في العراق تجمعت فيها هذه الخصائص الهندسية.. ولقد كان التخطي للمدينة على الجانب الأيسر للفرات، وقد وُضع حجر الأساس لها في ٢٢/جماد الأولى/ المصادف ١٢٨٦هـ ـــ ١٨٦٩م.

اما المنشآت الأولى هو سراي الحكومة، ومن ثم خططت البيوت والأسواق و الخانات وجامع فالح باشا الكبير. فكانت عملية البناء تتم بالأجر المشوي واللبن والجص والطين،كانت أجور العمال والصناع مجزية؛ بحيث كانوا في سباق مع الزمن. فمضى البناء يرتفع والأسواق تُعمر، وشيدت الحمامات ووزعت بعض الدور والدكاكين والخانات مجانا على بعض الأشخاص لتشجيع السكن في هذه الحاضرة، التي سرعان ما أصبحت مركز جذب، وأخذت بالتوسع السريع حيث وفدت اليها عوائل من الحلة وكربلاء والسليمانية وكركوك والموصل وبغقوبة وسوق الشيوخ. مارست هذه العوائل شتى الأعمال التجارية والصناعية والوظيفة العسكرية، ومامي إلا أقل من سنتين حتى بلغ عدد سكانها ٣٠٠٠٠ ثلاثون الف نسمة، وعدد دورها ٥٠٠٠ خمسة آلاف دار وتم بناء سوق خاص بالعمال والصناع وجامع آخر صغير أيضا أسمه جامع فالح باشا؛ في موقعه الحالي المعروف لأهل الناصرية.

عن موقع (كتابات)

حكايتي مع استاذتي بياتريس اوهانسيان

حيدر شاكر الحيدر

في العام ١٩٧٣ قدمت اوراقي لأقبل بمعهد الفنون الجميلة /قسم الرسم وكنت خائفا من هذا الصرح الكبير الذي تعج به الاسماء من الفنانين العراقيين والعرب والاجانب وقبل يوم من مقابلتي نصحني العم الجميل الدكتور علي رديف ان اكمل دراستي في الموسيقى وتحدث معي عن الموسيقى حيث انها ذلك الفن الوحيد الذي يحضر مع كل الفنون، ويأتي يوم المقابلة الصعب وامام لجنة جُلها من الاسماء الكبيرة.

تم قبولي في قسم الموسيقى وبتقدير (جيد جداً) بعد تفاصيل كثيرة وبعد ثلاثة اسابيع من الدوام في المعهد تم توزيع الطلبة على اساتذة الآلات العملية لترتأي اللجنة ان ادرس واتعلم العزف على الة (البيانو) بينما كنت افكر ان اكون عازفا لآلة العود.

وعند تنسيبي عند الست نتاشا الراضي ومضي فترة اسبوع فكرت بمغادرة المعهد بسبب عدم الانسجام مع الست نتاشا فتقدمت بطلب الى رئيس القسم الاستاذ حسين قدوري على انهاء علاقتي بالمعهد او نقلي الى استاذة اخرى، فوافق على طلبي وقال ان الست (بياتريس اوهانسيان) هي استاذتي الجديدة واوصاني ان استفاد من هذه الانسانة التي لم يكررها زمن، حيث تعد سفيرة الموسيقى العراقية لدى العالم وانتظرت مطلع الاسبوع لأرى الاستاذة بياتريس، حقا انها اميرة بكل ما اعنيه من رقي وجمال واناقة، تعلمت منها ان تدريس الموسيقى عالم قائم بحد ذاته وان تدريس الموسيقى هو مهمة شاقة خاصة مع آلة البيانو ذو المفاتحين الصول والفا.

كانت بياتريس تختار مناهج لكل مرحلة دراسية وحسب امكانية الطالب وحينها كنا خمس طلاب بنين وبنات ويالها من سنوات ابداع حقيقي.

استطاعت الست بياتريس ان تجعل من الدرس العملي درساً نموذجيا ينتظره طلبتها بشغف على عكس بقية الالات الموسيقية وهذا يعود لاسلوبها التربوي ومنهاجها المميز الذي تختاره هي بنفسها.

سنوات وانا طالب عند استاذتي، خمس سنوات مرت كالحلم، تخرجت من قسم الموسيقى / القسم الغربي وبتقدير (ثالث) على القسم لتظل بياتريس اساسا في حياتي الموسيقية" رحمها الله" اتركت ان الموسيقى هي موهبة واستاذ والاهم هو الاستاذ بعملية التدريس ومن خلال تجربتي الطويلة بمجال تدريس الالة ومن خلال موقعي الوظيفي بمعهد الفنون الجميلة ومعهد الدراسات اود ان اشير ان الكثير من المواهب الطلابية التي درست علم الموسيقى واحبته غادرت هذا الفن بسبب الاستاذ الذي لم يوفق بايصال طريقة تدريس الالة الموسيقية.

بياتريس اوهانسيان الشتاء المقدس

وانا استذكر اساتذتي الراحلة عازفة البيانو بياتريس اوهانسيان تذكرت تلك السنوات الخمس بمعهد الفنون الجميلة وتذكرت اصدقاء الفن الجميل واذكر شيئا ظل عالقا في ذهني فلولاه ما تعلمت معنى الجمال الموسيقي الذي هو عالم الرقي الحقيقي.

رحلت اساتذتي اميرة البيانو وسفيرة العراق في العالم، راهبة الموسيقى جمال وخلق واناقة، رحلت بعد ان قدمت عطاء موسيقي لم يقدمه احد من الموسيقيين العراقيين تقلدت بعدة قلادات بمعهد الفنون الجميلة وفي الفرقة السمفونية الوطنية العراقية لم يعوضها احد رحلت بياتريس ببلاد الغربة فكتبت عنها صحافة العالم واطلقوا عليها (الشتاء الحزين) بعد رحيلها عام ٢٠٠٨ تظل رمزا عراقيا وعالميا ويظل السؤال (مالذي قدمته وزارة الثقافة ومالذي قدمه معهد الفنون الجميلة لهذه الايقونة؟)

هكذا حال الكبار من اهل الفن يغادرون بصمت في ظل زمن ليتنا لم نره، رحم الله بياتريس اوهانسيان ولروحها السلام.

لو كنت مديرا لمعهد الفنون الجميلة لمئت ساحة المعهد واقسامه بنصب تذكارية لكل استاذ ظل بصمة بتاريخ الفن العراقي كان مدرسا بهذا الصرح الاهم بحياة الفن العراقي الخالد.

بياتريس الطفلة الموهوبة

المصادر تذكر ان هذه الفنانة ارادت ان تختصر الزمن لتدخل معهد الفنون الجميلة الذي تاسس عام ١٩٣٦ الا ان عمرها كان لا يسمح لها بالالتحاق في المعهد وكان للراحل (حنا بطرس) دورا مهما بقبول بياتريس رغم صغر سنها في المعهد كحالة استثنائية.

يعد الاستاذ الروماني جوليان هرتز اول استاذ لها حيث تخرجت من المعهد عام ١٩٤٤ وحصلت على دبلوم فن عال بدرجة امتياز تخرجت وهي مازالت صغيرة العمر فتحدت كل الاوامر والتعليمات وهذا حال مبدع الموسيقى او عباقرتها اختزلوا الزمن ليقدموا انفسهم مواهب للعالم.

الاهم من كل ذلك ان الحكومات العراقية في العهد الملكي كانت تنظر للفن الموسيقي على انه رقي وحضارة ويعلم متابعي التاريخ الموسيقسي العراقي ان رئيس الوزراء نور السعيد امر ان يبقى قسم من الفنانين اليهود في العراق وان لا يتم تسفيرهم الى فلسطين كما حصل ليهود العراق انذاك فقد ابقى على عازفي آلة السنطور والجوزة للاستفادة منهم وتدريس العراقيين هذين الالتين التراثيتين.

كم كانت الموسيقى حدثا ثقافيا لدى العراقيين فما اكثر مبدعات العراق النسوة الفنانات منهن والاديبات.

لذلك لابد ان تذكر المرأة العراقية هي حضارة انسانية كانت وما زالت.

بين السمفونية ومعهد الفنون الجميلة

حينما اسست الفرقة السمفونية الوطنية عام ١٩٦١ كانت بياتريس مدرسة لآلة البيانو في قسم الموسيقى بمعهد الفنون الجميلة وتشير الوثائق ان بياتريس غادرت المعهد لأوربا وامريكا حيث مارست التدريس بدول اوربية تحديدا بمملكة النمسا وسويسرا اضافة للتدريس فقد اقامت حفلات بدول اخرى ضمن القارة الاوربية ومن ثم انتقلت الى الولايات المتحدة ونظمت الكثير من الحفلات في ولايات مختلفة للجاليات العراقية وكانت ممثلة لمنطقة الشرق الاوسط خير تمثيل.

في العام ١٩٦٩ عادت الى العراق بمعهد الفنون الجميلة / قسم الموسيقى لتواصل عطائها الموسيقي مدرسة في المعهد وعازفة في الفرقة السمفونية الوطنية وبين الحين والآخر كانت بياتريس تمثل العراق في الاسابيع الثقافية العراقية التي تقام بدول الشرق والغرب فقد مثلت العراق في العديد من الملتقيات الموسيقية داخل وخارج العراق ومن خلال تلك المشاركات نالت العديد من الشهادات والاوسمة التي تستحقها من تلك الدول التي زارتها.

في العام ١٩٧٢ عادت للفرقة السمفونية وكان العام ١٩٨٢ عاما مميزا بحياتها الموسيقية حيث الفت سمفونية البيانو قدمتها على خشبة المسرح الوطني العراقي وقد كانت الفرقة السمفونية العراقية على موعد مع هذه المؤلفة الموسيقية لعزفة لن يكررها زمن، وقام بتوزيع سمفونية البيانو المايسترو الرائع عبد الرزاق العزاوي اطال الله عمره، هنا لابد من الاشارة الى ان هنالك اسماء من الموسيقيين العراقيين امثال الموسيقار (فريد اللة ويردي) والموسيقار (عبد الامير الصراف) اضافة لتلك الاسماء ظهر اكثر من فنان مؤلفا للسمفونية العراقية امثال الراحل (منذر جميل الحافظ) وفكري بشير وفؤاد عثمان ومحمد امين وعلي خصاف وأخرون... .

هل لنا ان نرى امرأة عراقية اخرى كبياتريس اوهانسيان تؤلف لنا اعمال او قطع موسيقية ضمن الفرقة السمفونية العراقية؟ سؤال ينتظر الاجابة.

بياتريس والعام ١٩٣٧

لم يكن ذلك العام مجرد زمن بحياة هذه الفنانة الموهوبة، حيث وقفت بياتريس امام لجنة القبول باسماء الشريف محي الدين حيدر مؤسس الموسيقى العراقية وواحد من اهم رموزها في القرن العشرين وايضا كان هناك مدير معهد الفنون الجميلة وشقيقها (ارشان) عازف الكمان ولربما نسأل عن والدها فالاب ان تكون اجابتنا دقيقة فالصادر المقربة من عائلة بياتريس تؤكد انها سكنت بغداد ايام الاحتلال البريطاني للعراق وان عائلة الاب واخويه غادرا من تركيا بعد مذبحة الارمن الشهيرة لتستقر في العراق.

بياتريس وهانسيان والكنيسة

كما يعلم المهتمون بعلم الموسيقى وتاريخه العريق ان الموسيقى عرفت في المعابد والكنائس وان الكنائس كانت ولم تزل تقيم التراتيل الدينية على مر الزمن وتطورت عبر مراحل مختلفة من الحضارات البشرية وفي بغداد ام الكنائس تدق الاجراس لبدأ الطقوس الدينية وانذكر ان الكثير من العوائل العراقية كانت تزور الكنيسة وتتبارك من خلالها.

بياتريس اوهانسيان كانت كل يوم احد تتردد على كنيسة الارمن بمنطقة الشورجة ببغداد لترافق الكورال الكنائسي وهو يؤدي طقوسه الدينية وتهزف على آلة الاورغن الموجودة في الكنيسة وهذا الحال رأيناه لدى عطاء الموسيقى امثال بتهوفن وموتسارت وباخ وباقي عباقرة الموسيقى وهنالك الكثير من المؤلفات الكنائسية التي كانت الكنائس اماكن لأدائها ونعود بالذاكرة حينما كنا طلبة بمعهد الفنون وضمن مادة التاريخ والتذوق الموسيقي حيث كان الاستاذ الراحل حمدي قدوري مدرسا لهذه المادة قال ان الموسيقى عرفت من خلال المعابد والكنائس رحمه الله رمزا عراقيا وعلم من اعلامه.

المايسترو عبدالرزاق العزاوي قائد الفرقة السمفونية العراقية يتحدث الصديق الرائع والمثل الاعلى بشخصية الفنان والانسان المايسترو عبد الرزاق العزاوي عن هذه الفنانة العراقية والعالمية حيث يذكر لي بذلك اللقاء الذي جمعني بينه بمقر جمعية الموسيقيين العراقيين ان الفنانة بياتريس هي رمزا من رموز الموسيقى العراقية والمرأة الوحيدة التي نالت تقدير الحكومات العراقية الملاحقة، منحت سفيرة باستحقاق فقد صالت وجالت في قارات العالم وهي تقدم روائع العزف من مؤلفات كبار الموسيقيين الذين عرفتهم البشرية واتذكر في العام ١٩٨٢ حينما الفت بياتريس سمفونية البيانو كنت موزعا لذلك العمل المميز وقدمت الفرقة السمفونية مقطوعة (الفجر) من مؤلفاتها ويستمر بحديثه كانت الرحلة تختار طلابها بدقة كونها تنظر لهؤلاء الطلبة انهم جزء منها فهنيئا لمن تتلمذ على تلك الانامل والعقلية التي لن تتكرر على مدى سنين قادمات بتاريخ الموسيقى العراقية.

لقد تفاعلت بياتريس مع ما يحدث في العراق من متغيرات سياسية وعسكرية فتراها تتالم لتلك الحروب التي خاضها العراق واخرها حرب العام ١٩٩١ ولم تتحمل ما خلفته تلك الحروب من مأسي للعراق فقررت ان تهاجر الى الولايات المتحدة وليكون قدرها ان تفارق الحياة بعد ان تركت هدية الحكومة العراقية لها تلك هي الة (البيانو) من النوع الفاخر والتي توجد حاليا باحدى بيوت بغداد المعروفة بحبها للموسيقى والفن.

من أدب الذكريات

ذكرياتي مع هاشم البغدادي.. عملاق الخط العربي

وليد الأعظمي

انعم الله علي بصداقة متينة واخوة وطيدة مع الخطاط العملاق الاستاذ هاشم البغدادي رحمه الله دامت عشرين عاما. كنت خلالها اعب من فيض فنونه ودرايته وخبرته.

اصدر المرحوم هاشم مجموعة من خط (الرقعة) اقرتها وزارة المعارف (التربية) سنة ١٩٤٦م، كما أصدر مجموعته الرائعة (قواعد الخط العربي) سنة ١٩٦١م وهي ارقى مجموعة للخطوط العربية ظهرت حتى الآن في العراق ومصر والشام وتركيا وايران.

ومن آثاره المهمة، التي كان يعتز بها كثيرا (مصحف الاوقاف) الذي طبعته مديرية المساحة العامة ببغداد لاول مرة سنة ١٣٧٠هـ باشرافه، ثم طبعه ديوان الوقف في المانيا سنة ١٣٨٦هـ باشرافه ايضا. وطبعة ثالثة في المانيا سنة ١٣٩١هـ وقد بقي رحمه الله في المانيا سنتين او اكثر للاشراف على طبع المصحف. وقد قام بتذهيبه وترقيم آياته وكتابة عناوين السور والاحزاب والاجزاء والسجدات. كما صنع له زخرفة رائعة (لفاتحة الكتاب واول سورة البقرة). وقد انتشرت الزخرفة في اوروبا انتشارا هائلا وعرضت في البيوت والمخازن والقاعات. والمصحف المذكور من خط المرحوم الخطاط التركي محمد امين الرشدي كتب سنة ١٢٣٦هـ. وقد اهدته والدة السلطان عبد العزيز الى جامع الامام الاعظم ابي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي رضي الله عنه.

ومن آثاره السطور في جامع العسافي بالاعظمية وجامع صالح افندي (نفس السطور) وجامع حسيبة الباجه جي في الكرادة الشرقية.

والسطر الرائع الذي كتبه في جامع الامام الاعظم سنة ١٣٦٤هـ بالثلث:

سلوه تضرعا وادعوه خفية وبعد استرحموا لابي حنيفة

وكذلك كتب سطور جامع عبد الله لطفي في السليمانية، وسطور جامع عادلة خاتون بالصرافية وسطور جامع الشاوي وسطور جامع سعد بن ابي وقاص مجاور المتحف بالكرخ. وسطور جامع الوزير ببغداد وباب جامع عثمان افندي وسطر جامع الازبك (بالكوفي) ونفسه في جامع ١٤ رمضان.

وسطور جامع الشهداء في ام الطبول ومنارة جامع علي افندي. وسطور جامع الاورفه لي ببغداد، وباب جامع المرادية ببغداد.

ومن اروع آثاره السطر المطل على شارع الرشيد في جامع الحيدرخانة وهو بالثلث المحقق. وقد وقف طويلا ينظر اليه عند عودته من المانيا. ومعه نخبة من تلاميذه. وهو يبين له خصائص ومزايا الخط المحقق.

وكذلك سطوره في جامع الشيخ عبد القادر الكيلاني، في غاية الفخامة والعظمة في حسن التركيب والتداخل بين الحروف. ومن اعظم آثاره اللوحة الكائنة في ظاهرة ١٤ رمضان من جهة القبلة والمطلة على حدائق الجامع، وقد صب رحمه الله عصارة فنه وخلاصة اتقانه في سطور جامع المرحوم المحسن الحاج عبد الوهاب النبيه ببغداد.

كما صلح سطر جامع الامام الاعظم في الطارمة (سورة الفاتحة) وهو بخط المرحوم عبد الجبار خان زادة الشيخلي البغدادي.

الى عشرات الجوامع والمدارس والربط في كافة انحاء العراق. زين واجهاتها وطرز محاريبها وقبابها بخطوطه الرائعة الزاهية.

ومن روائع آثار المرحوم هاشم الزخرفة المثبتة في الدينار العراقي الصادر عن المصرف الوطني والدينار العراقي الصادر عن البنك المركزي العراقي، مع العلم انه كتب العملة (التونسية) و(المغربية) و (الليبية) و (السودانية) اضافة الى المسكوكات العراقية المعدنية الصادرة سنة ١٩٤٨م و ١٩٥٩م وهذا ما يدل على ذيوع شهرته في الوطن العربي كله ومركزه الفني وسمعته.

كما كان المرحوم هاشم خبيرا ترجع اليه المحاكم في فحص الخطوط والتواقيع.

ومكتب الاستاذ هاشم كالروضة الغناء انتشرت الورود بارجائها. فهو مزين بلوحاته الرائعة النفيسة المذهبة والمطعمة ذات الاطر البهية. بالاضافة الى لوحات بعض كبار الخطاطين العثمانيين، الذين يعتز بهم ويعتبرهم المثل الاعلى في الخط العربي.

وقد عرض في مكتبه بعض (الحلي)، جمع حلية. بخطه وبخط الاتراك القدماء.

والحلية هي لوحة تتضمن كتابة صفة النبي صلى الله عليه واله وسلم كما وصفه الامام علي رضي الله عنه. يتبارى الخطاطون باجادتها والتفنن بتراكيبها وتصميمها والابداع في رصف سطورها، وتحقيق حروفها.

والحلية عند الخطاطين كالمعلقة عند الشعراء، كما انها المقياس الذي يحاسب عليه الخطاط ولا يحاسب على سواه، ويوجه له المدح والقدح بسببها. ويهيبها الخطاطون. ولا يقدم على كتابتها منهم الا من آنس من نفسه الكفاءة واللياقة. بحيث يستطيع ان يضيف جمالا وحسنا في تركيبه وان يتحاشى التقليد لئن سبقه الا في حدود ضيقة يضطر اليها الخطاط اضطرارا ولا يملك لنفسه ولا لقلمه فكاكا منها.

وقد كتب المرحوم هاشم اكثر من عشر حليات مذهبة ومزخرفة ببراعة تامة. وقد بعثها الى استانبول لتذهيبها. هناك من قبل عظماء المذهبين الاتراك.

ومكتبته في بيته تحتوي على نماذج قيمة لروائع الخطاطين. وفيها مجاميع اصلية باقلام كبار الخطاطين القدماء والمعاصرين الى اعداد كبيرة من اللوحات المطبوعة والمصورة عدا المجاميع والكراريس والكتب التي تبحث في تاريخ الخط العربي واصوله وآدابه. كما زين بيته بسطور زاهية على الجدران. وكان على صلة دائمة بخطاطي مصر والشام وتركيا وايران.

وعند سفري الى الحج سنة ١٩٦٣ زودني المرحوم هاشم برسالة الى الاستاذ (احمد ضياء الدين المدني) في المدينة المنورة واوصاني بالاتصال به، للاطلاع على المخطوطات الموجودة في المدينة المنورة، وشراء ما استطيع منها بأي ثمن كان ويكون الشراء باسم هاشم وهو يحول المبلغ الى هناك. وقد اتصلت بالاستاذ المدني وفرح برسالة هاشم وقام بالواجب واطلعني على كثير من المخطوطات التركية لدى بعض الاتراك والمجاورين في المدينة. واغلبها مطبوع ومصور وكنت قد رأيت بعضا منها لدى المرحوم هاشم قبل السفر. ثم زرا (الشيخ مصطفى نجاة الدين) وهو رجل تركي فاضل مجاور للنبي صلى الله عليه واله وسلم وهو صاحب (حدائق الخطوط) وهي سلسلة خطية طبعها في الشام. فاطلعني على مجاميع ضخمة (درج) لكبار الخطاطين الاتراك، مذهبة ومزخرفة في غاية الحسن والجمال والتنسيق. ومنها ما يمتد الى اربعة قرون او يزيد. وكان الشيخ يعتز بها كثيرا وهو غير مستعد لبيعها. فاتفقت معه على تصويرها.

وقد جلبت منها خمس عشرة صورة الى الاستاذ هاشم عند عودتي من الحج. كما ارسل الاستاذ المدني بعد ذلك مجموعات مصورة كبيرة الى الاستاذ هاشم، وكانت بينهما مراسلة ومودة.

كما زودني رحمه الله بنسخة من كراسة قواعد الخط العربي موقعة بقلمه هدية الى الشيخ محمد طاهر الكردي المكي الخطاط، ونسخة اخرى موقعة الى الحاج محمد بدوي الديراني الخطاط الشهير في دمشق، وقد سلمتها الى الحاج بدوي عند انتهاء الحج وزيارتي لدمشق.

كما سافر رحمه الله في أب سنة ١٩٦٣م الى القدس الشريف، واطلع على خطوط (شفيق) الخطاط التركي في قبة الصخرة وصورها لنفسه. وكان رحمه الله ينوي السفر الى مكة المكرمة والمدينة المنورة ليطلع على خطوط المرحوم (الحاج عبد الله افندي الزهدي) الخطاط التركي الشهير. الا ان اعماله الكثيرة كانت ترهقه ووقته ضيق بالنسبة لأماله وخططه ومشاريعه.

ألفاظ نادرة بحكايات طريفة

حسين الكرخي

بشطمال

قطعة قماش مستطيلة الشكل يغلب عليها اللون الاحمر مقلمة بالوان زاهية طولياً وقد يلفظها البغادّة(بشطمال) يتخذها الداخلون الى الحمامات العامة او النهر كمئزر واحسب انه في طريق الانقراض.واصل اللفظة اعجمي مركب من (پشت) وهو الظهر و(مال) التدليك والمعنى العام للپشتمالحافظ الظهر او (الوزرة) بلغة البغادّة كقولهم مثلاً كناية عن الفقر والادقاع (بطرگ الوزرة) ويقال ان احدهم دخل الحمام وهو من المشهورين بالكذب فسرقت ملابسه فعلاً ولاجل ان يثبت ما حصل له قال لصاحب الحمام:

-والان ماذا تقول؟ هل من المعقول انني دخلت الحمام بهذه الهيأة؟

اسكة جي

من التركية (ايسكي) بمعنى عتيق،و(چي) اداة النسب ويطلق على الذي يتعامل بالأشياء القديمة المستعملة بيعاً وشراءً. وفي ازقة بغداد سابقاً كان (ابو عتيق البيع) يمشطها وهو يصيح أيسكي بمد الياء،وبلغة البغادّة تعني ايضا رقاع الاحذية (إسكافي) وفي رصافة بغداد يوجد سوق بإسم سوق الاسكچية،وفي شمال العراق منطقة باسم(اسكي كلك) وفي بلغراد عاصمة يوغوسلافيا شارع يحمل اسم (ايسكي جادّة سي) وهو مايزال قائماً بطابعه العثماني القديم ينتابه السياح الأجانب والمواطنون اليوغوسلاف قرأت في موسوعة المرحوم الشالچي: كما روى لي ايضاً استاذنا الشاعر محمد حسبن الشبيبي هذين البيتين على لسان صديقه المصور ارشاك مطالباً بتسديد قيمة صور له تأخر تسديدها ولم يكن ارشاك يعلم بمضمون الورقة التي حملها الى ابي علي لانه كان امياً، ومن المعلوم ان ثلاثتهم من اوفى الاصدقاء،ولكنها المداعبة البريئة:

ايا ابن الشبيبي يا حيلباز
ويا حنقباز ويا سختچي
اذا لم تبادر بدفع الحساب
بعثنا بجلدك لد (اسكچي)

حيلباز: محتال. حنقباز: لعوب(لعبي). سختچي: نصّاب،صانع الحيلة.

بعدين

بعدين كأن يقال لك:متى نراكم؟ فتقول: بعدين أي في وقت اخر وهي جملة مركبة من كلمتين (بعد) عربية معروفة المعنى و (اين) اعجمية بمعنى هذا، أي بعد هذا.وبمناسبة متى نراكم تحضرني حكاية طريفة سمعتها ايام الصبا عن أرملة ظريفة وولدها الصغير دخل بيتها لص فأخذت تحدث ولدها عمداً بصوت عالٍ عن كنز اخفاه والده-قبل موته-في قعر البالوعة فسمعَ اللصّ وخرج ليعود بادوات التنظيف والحفر ثم عاد واكمل العمل ولكنه لم يعثر على الكنز الموهوم فأحس بالمقلب واخذ يشتم صاحبة البيت وهو يخرج وكانت الارملة في السطح تراقب الموقف فصاحت به وهي

تضحك: متى نراكم؟فأجابها بغضب وخيبة:لما يكثر خر....!؟فكان ظريفاً هو الاخر.

پاچة، كوارع، أكارع

الپاچة /كلمة اعجمية بمعنى الأكارع وهي اكلة شعبية معروفة في العراق والبلدان العربية وبعض الدول الشرقية ففي سوريا تسمى (مقادم) وفي لبنان (غمي) تخفيف (غنمي) كما يذكر الاستاذ الشالچي في موسوعته، وفي مصر يسمى كل جزء منها باسمه، وفي تركيا تسمى (پاچة) بلغتهم والباچچي في الفصحى الروّاس. واقترن حب هذه الاكلة بالكرخيين اكثر من غيرهم ولهذا فان الرصافيين يعيرونهم بانهم (اهل الكروش) وبالمقابل فان الكرخيين يعيرون الرصافيين بانهم (اهل اللقالق) لانها تبني اعشاشها في ابراج وسطوح المباني العالية الموجودة-عهد ذاك-في الرصافة دون الكرخ. ان الرواسين منتشرون في جانبي بغداد على حد سواء. وفي اغلب المدن العراقية فان كانت پاچة (سلمان ابن طوبان)مشهورة في محلة خضر الياس بالكرخ شهرة طرشي (حنانش) المجاور لها فان پاچة (الحاتي) وباچچية باب الشيخ والشيخ عمر معروفون ايضاً في الرصافة فضلاً عن ذلك فان بعض الاسر الرصافية العريقة حملت هذا اللقب واعتزت به الى الان فلماذا خَصوا الكرخيين وحدهم بحبها؟

ولا بد من القول ان اصل كلمة (طوبان) هو (طوبال) أي الاعرج في اللغة التركية، وتوثيقا لذلك قال الكرخي: -

اذا فكرك الپاچة العال تاكل عند (ابن طوبال)

صُبْ يا ولد

و بعضهم يقولون (فرّغ) عندما يطلبون الطعام، أو الماء لغرض غسل اليد و الفم بعد الفراغ من الأكل، فالناس قبل شيوع الحنفيات يستعملون أبريق الماء لهذا الغرض، فيقولون لحامله (صُب يا ولد) و يظهر أن موسيقية هذه العبارة أدت الىً ظهور أليستة البغدادية الطريفة

(واي واي صب يا ولد واي واي سنّه ذهب)

كما انها أستهوت المرحوم الزهاوي فأدخلها في شعره.

قال مداعبا المرحوم عبد القادر المميز، صاحب جريدة (أبو حمد):

قد جاءنا (أبو حمد) يمشي كمشية الأسد

و يختمها بقوله:

قد طابت الخمرة لي (صب يا ولد صب يا ولد)

عن مخطوطة (الالفاظ الشعبية) المعدة للنشر

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير

فخري كريم

العدد (5905) السنة الثانية والعشرون -
الاثنين (12) أيار 2025

www.almadasupplements.com

رئيس التحرير التنفيذي: علي حسين
سكرتير التحرير: رفعة عبد الرزاق

طبعت بمطابع مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

"21عاماً من التعبير الحر والمسؤولية الوطنية"

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون